الكتاب المسموع منافس أم مكمل؟

رغم انتشار الكتاب المسموع عالميًّا، وبأساليب وطرق متنوعة، فإنه لا يزال يعد مكمِّلا للكتاب الورقي لا منافسًا. وحسب موقع https://www.statista.com/ فإن حجم السوق العالمية للكتاب المسموع يقترب من ثمانية مليارات دولار بنهاية عام 2024م، مع توقع وصوله إلى 13 مليار دولار في عام 2029م، وعدد مستخدمين يبلغ 1.8 بليون مستخدم. وتعد شركة (Audible) من أوائل الشركات التي بدأت توفير الكتب الإلكترونية المسموعة عام 1997م، ثم تلتها شركات أخرى.

وتتعدد أسباب اللجوء إلى الكتاب المسموع، ومنها أنه قد يكون الملجأ الأخير أو المناسب للمشغولين وقتًا أو يدين، أو للمصابين بحالة ملل من القراءة، مؤقتةٍ أو دائمة. كما يُعد في الغالب أقل سعرًا من المطبوع أو حتى مجانيًّا، مع تعدد منافذ الاستفادة منه، إما من المواقع بشكل مباشر أو عبر تطبيقات مخصصة لذلك.

ورغم أن هذه الكتب تبدو غير مكلفة في الظاهر، إذ ليست سوى شخص يقرأ من كتاب أمام لاقطة لا أكثر، فإن الأمر أعقد من ذلك بكثير، ويمر بمراحل عديدة ليس أقلها اختيار المحتوى المناسب ثم البحث عن متحدث بصوت جميل وملائم، ثم التدريب على القراءة، فالتدقيق اللغوي، مرورًا بالاستفادة من الأجهزة المناسبة للتسجيل حتى تخرج لنا الكتب بالوضوح والنقاء المطلوبَين. يضاف إلى كل هذا المؤثراتُ الصوتية (موسيقى أو غيرها) التي قد تصاحب تسجيل الكتاب المسموع.

ويظهر الفارق بين الكتاب المقروء والمسموع في أن الأول يعتمد على العين مع العقل في حين يعتمد الثاني على الأذن مع العقل. كما أن مدة الاستماع للنص أكثر من المدة اللازمة لقراءة نفس النص بأقل بقليل من الضعف.

ورغم تنامي الإقبال على الكتاب المسموع فإنه لا يتوقع أن يشكل تهديدًا أو أن يعد منافسًا للكتاب الورقي (في المدى المنظور على الأقل)، بخلاف الكتاب الرقمي الذي يزاحم الورقي ويحاول توسيع مساحة التأثير التي يغطيها دون أن يبعده عن العرش. ويعود السبب في سيادة الورقي على غيره هو كونه المصدر الرئيس للكتب حين كتابتها ومنه ينشأ ويتفرع الرقمي والمسموع.